

تفسير البحر المحيط

@ 471 والضحاك : الثديين ، لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه . { فَلَآ اَقْتَحَمَ
الْعَقَابَةَ } : أي لم يشكر تلك النعم السابقة ، والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على
النفوس من حيث هو بذل مال ، تشبيه بعقبة الجبل ، وهو ما صعب منه ، وكان صعوداً ، فإنه
يلحقه مشقة في سلوكها . واقتحمها : دخلها بسرعة وضغط وشدّة ، والفحمة : الشدّة والسنة
الشديدة . ويقال : فحم في الأمر قحوماً : رمى نفسه فيه من غير روية . والظاهر أن لا
للنفي ، وهو قول أبي عبيدة والفرّاء والزجاج ، كأنه قال : وهبنا له الجوارح ودللناه
على السبيل ، فما فعل خيراً ، أي فلم يقتحم . قال الفرّاء والزجاج : ذكر لا مرة واحدة ،
والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد ، كقوله تعالى : { فَلَآ صَدَّقَ وَلاَ
صَلَّى } ، وإنما أفردتها لدلالة آخر الكلام على معناه ، فيجوز أن يكون قوله : { ثُمَّ }
كَانَ مِنَ السَّادِّينَ ءَامَدُوا° } ، قائماً مقام التكرير ، كأنه قال : فلا اقتحم العقبة
ولا آمن . وقيل : هو جار مجرى الدعاء ، كقوله : لا نجا ولا سلم ، دعاء عليه أن لا يفعل
خيراً . وقيل : هو تحضيض بالألا ، ولا نعرف أن لا وحدها تكون للتحضيض ، وليس معها الهمزة .
وقيل : العقبة : جهنم ، لا ينجي منها إلا هذه الأعمال ، قاله الحسن . وقال ابن عباس
ومجاهد وكعب : جبل في جهنم . وقال الزمخشري ، بعد أن تنحل مقالة الفرّاء والزجاج : هي
بمعنى لا متكررة في المعنى ، لأن معنى { فَلَآ اَقْتَحَمَ الْعَقَابَةَ } : فلا فك رقبة ولا
أطعم مسكيناً . ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك ؟ انتهى ، ولا يتم له هذا إلا على
قراءة من قرأ فك فعلاً ماضياً . .
وقرأ ابن كثير والنحويان : فك فعلاً ماضياً ، رقبة نصب ، أو أطعم فعلاً ماضياً ؛ وباقي
السبعة : فكر مرفوعاً ، رقبة مجروراً ، وإطعام مصدر منون معطوف على فك . وقرأ عليّ
وأبو رجاء كقراءة ابن كثير ، إلا أنهما قرآ : ذا مسغبة بالألف . وقرأ الحسن وأبو رجاء
أيضاً : أو إطعام في يوم ذا بالألف ، ونصب ذا على المفعول ، أي إنساناً ذا مسغبة ،
ويتيمماً بدل منه أو صفة . وقرأ بعض التابعين : فك رقبة بالإضافة ، أو أطعم فعلاً ماضياً
. ومن قرأ فك بالرفع ، فهو تفسير لاقتحام العقبة ، والتقدير : وما أدراك ما اقتحام
العقبة . ومن قرأ فعلاً ماضياً ، فلا يحتاج إلى تقدير مضاف ، بل يكون التعظيم للعقبة
نفسها ، ويجيء فك بدلاً من اقتحم ، قاله ابن عطية . وفك الرقبة : تخليصها من الأسر والرق
{ ذَا مَقْرَبَةٍ } : ليجتمع صدقة وصلة ، وأو هنا للتنويع ، ووصف يوم بذي مسغبة على
الاتساع . { ذَا مَتْرَبَةٍ } ، قال : هم المطروحون على ظهر الطريق قعوداً على التراب ،

لا بيوت لهم . وقال ابن عباس : هو الذي يخرج من بيته ، ثم يقلب وجهه إليه مستيقناً أنه ليس فيه إلا التراب . .

{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } : هذا معطوف على قوله : { فَلَا اقْتَحَمَ }

؛ ودخلت ثم لتراخي الإيمان والفضيلة ، لا للتراخي في الزمان ، لأنه لا بد أن يسبق تلك

الأعمال الحسنة الإيمان ، إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع ، أو يكون المعنى : ثم كان

في عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الإيمان ، إذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع

بالطاعات ، أو يكون التراخي في الذكر كأنه قيل : ثم اذكر أنه كان من الذين آمنوا . }

وَتَوَّاصَوْا بِالصَّيْرِ : أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والطاعات وعن

المعاصي ، { وَتَوَّاصَوْا بِالْمَرْءِ حَمَاقَةً } : أي بالتعاطف والتراحم ، أو بما يؤدي

إلى رحمة الله . والميمنة والمشأمة تقدم القول فيهما في الواقعة . وقرأ أبو عمرو وحمزة

وحفص : { مٌؤُودَةٌ } بالهمز هنا وفي الهمزة ، فيظهر أنه من آصت قيل : ويجوز أن

يكون من أوصدت ، وهمز على حد من قرأ بالسؤوق مهموزاً . وقرأ باقي السبعة بغير همز ،

فيظهر أنه من أوصدت . وقيل : يجوز أن يكون من آصت ، وسهل الهمزة ، وقال الشاعر : % (

قوماً تعالج قملاً أبناءهم % .

وسلاسلاً حلقاً وباباً مؤصداً .

.) % .